



محاكمة الكلمة

♦ قبل أن تخرج من الفم... وقبل أن تدخل التاريخ ♦



كتيّب في الحكمة وضبط اللسان ومسؤولية القول
دينيًا وأخلاقيًا ونفسيًا واجتماعيًا

إعداد أيمن الحراكي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُحَاكَمَةُ الْكَلِمَةِ

قبل أن تخرج من الفم... وقبل أن تدخل التاريخ

«نملك الكلمة قبل أن نقولها، فإذا خرجت ملكت جزءاً من أثرنا.»

دراسة دينية وأخلاقية ونفسية واجتماعية في مسؤولية القول

إعداد: أيمن الحراكي

الطبعة الأولى - 2026

هذا الكتيب عمل تربوي توعوي، لا يُقصد به إصدار أحكام على أشخاص أو جماعات، وإنما بناء ميزان يساعد الإنسان على مراجعة قوله قبل نشره، وعلى الرجوع إلى الحق متى ظهر له خطؤه.

مقدمة: لماذا كُتب هذا الكُتَيْب؟	الفصل السادس: محكمة الحقيقة والعلم	الفصل الثالث عشر: الكلمة في الأسرة والإدارة والمنصات
تنبيه منهجي في التعامل مع الروايات	الفصل السابع: محكمة العدل والإنصاف	الفصل الرابع عشر: نموذج محكمة الكلمة
الفصل الأول: الكلمة التي تعيش بعد صاحبها	الفصل الثامن: محكمة الأسلوب والمال	الخاتمة والدعاء
الفصل الثاني: الحارث بن عباد بين الحكمة وجرح الأب	الفصل التاسع: الكلمة العامة ومصلحة الأمة	ملحق: ميثاق صاحب الكلمة
الفصل الثالث: اللسان في ميزان الوحي	الفصل العاشر: المؤثر والقائد والعالم - مسؤولية مضاعفة	ملحق: محاكمة الستين ثانية
الفصل الرابع: محكمة النية	الفصل الحادي عشر: الشورى وخط الرجعة	المصادر والإحالات
الفصل الخامس: محكمة الحالة النفسية	الفصل الثاني عشر: التصحيح والاعتذار وإيقاف الأثر	

لم أكتب هذا الكُتَيْبَ لأضيف موعظة عابرة إلى عشرات المواعظ التي يسمعها الناس عن حفظ اللسان، ولا لأقيم محكمة على أخطاء الآخرين وأقف خارج قصص الاتهام. كتبتُه لأن الكلمة، في عصر التسجيل الدائم والانتشار السريع، لم تعد صوتًا ينتهي بانتهاء المجلس؛ بل أصبحت أثرًا قادرًا على أن يسبق صاحبه إلى الآفاق، وأن يبقى بعد أن يهدأ غضبه، وبعد أن يتغير رأيه، وربما بعد أن يغادر الدنيا.

قد يبني الإنسان ثقة الناس في سنوات طويلة من العلم والحكمة والتوازن، ثم تهدم كلمة متعجلة جزءًا كبيرًا مما بناه. وقد تكون الخسارة أكبر من سمعته الشخصية: أسرة تتفكك، وموظف تنهار ثقته بنفسه، وجمهور يتعصب، وخصومة تتحول إلى منهج، وانفعال عابر يعاد نشره حتى يبدو كأنه موقف مدروس أو حكم نهائي.

إن للكلمة وجهين: فهي من أسير الأعمال صدورًا، ومن أعسرها استردادًا. يستطيع المرء أن يحبسها ما دامت في صدره، وأن يراجعها ويصوغها ويؤجلها، فإذا خرجت لم يعد يملك الطريق الذي ستسلكه، ولا القلوب التي ستدخلها، ولا الأيدي التي ستستخدمها. ولهذا كانت حاجتنا إلى محاكمة الكلمة قبل إطلاقها أشد من حاجتنا إلى تبريرها بعد انتشارها.

الفكرة المركزية

ليست محاكمة الكلمة دعوة إلى الجبن أو السكوت عن الحق، وإنما هي دعوة إلى أن يكون الحق نفسه بريئًا من الهوى والظلم والطيش، وأن يقال بعلم وعدل وحكمة وفي وقت مناسب وبصياغة تحقق مصلحته ولا تتقلب عليه.

يحاول هذا الكُتَيْبُ أن يبني نموذجًا عمليًا يضع القول في قاعة محكمة رمزية: تُستدعى النية للشهادة، وتفحص الحقيقة، ويستمع إلى خبير النفس، ويوزن العدل، وتدرس المصلحة العامة، وتحسب المآلات، ثم يصدر واحد من ستة أحكام: قل، عدل، أجل، استشر، اصمت، أو اعتذر.

وهو موجّه لكل إنسان، لكنه أشد توجيهاً إلى من يسمع الناس كلامه: الوالد والمربي، والمعلم والخطيب، والمسؤول والمدير، والكاتب والمفكر، والعالم والقائد، وصاحب الحساب المؤثر. فكلما اتسعت دائرة السماع ضاق حق الارتجال، وكلما ارتفعت المنزلة عظمت أمانة اللفظ.

«ليس المقصود أن تخاف من الكلام، بل أن تخاف من الظلم الذي قد يختبئ في كلام تظنه شجاعة»

يستفيد الكتّيب من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة، ومن وقائع تاريخية وأخبار أدبية مشهورة. والنصوص الشرعية هي الأصل الحاكم، أما الروايات التاريخية فتذكر للعبارة مع التمييز بين ما ثبت وما اشتهر وما خالطه الأدب الشعبي.

ومن ذلك أخبار حرب البسوس والحارث بن عباد والمهلهل، فقد حفظت المصادر الأدبية أصل الحرب وعدداً من أشعارها وأحداثها، ثم أضافت السيرة الشعبية تفاصيل ومبالغات لا يصح الجزم بها. ولذلك لا نبني حكماً شرعياً أو تاريخياً قطعياً على كل جزئية منها، وإنما نستخدم صورتها العامة لفهم أثر الإهانة والجرح النفسي في تحول المواقف.

قاعدة القراءة

اقرأ النص الشرعي بوصفه دليلاً، واقرأ الخبر التاريخي بوصفه نافذة محتملة على النفس والمجتمع، ولا تساو بين منزلتهما في الثبوت والحجية.

الكلمة كائن معنوي صغير يولد بين الشفتين، لكنه لا يبقى صغيراً بالضرورة. قد يتلقاها شخص واحد فيعيد صياغتها، ثم يحملها جمهور، ثم تتحول إلى شعار يختصر قضية معقدة. وحين تدخل العبارة ذاكرة المجتمع قد تنفصل عن سياقها وعن حال قائلها، ويصعب على صاحبها أن يعيدها إلى حجمها الأول.

آية جامعة

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

سورة ق: 18

لم تقل الآية: ما يلفظ من قول عظيم أو مشهور، بل عممت كل قول. والرقابة هنا تربي المؤمن على أن اللفظ ليس مساحة مهملة في حياته، بل عمل مكتوب يدخل في ميزان المسؤولية.

من هدي النبوة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم».

رواه البخاري

موضع الخطر في الحديث قوله: «لا يلقي لها بالاً». فقد لا تكون الكلمة نتيجة مؤامرة أو قصد طويل، بل نتيجة استهانة: تعليق ساخر، اتهام غير مثبت، مزحة تمس كرامة، أو جملة يطلقها مشهور فيلتقطها آلاف الناس.

حديث المسؤولية الممتدة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

رواه مسلم

لا يعني ذلك أن قائل الكلمة يحمل كل تصرف بعيد لم يكن متوقعًا ولا علاقة معقولة له بلفظه، لكنه يتحمل من الأثر بقدر ما دعا إليه أو سهله أو زيناه أو أصر عليه بعد ظهور ضرره. فالكلمة قد تصبح بابًا للخير المتجدد، وقد تصبح بابًا للإثم المتجدد.

«اسأل قبل أن تتكلم: هل أريد لهذه العبارة أن تبقى منسوبة إلي بعد عشرين عامًا؟»

من أشهر الصور الأدبية في تاريخ العرب موقف الحارث بن عباد من حرب البسوس. فقد اشتهر عنه اعتزال الحرب في بدايتها، ونسبت إليه عبارات تدعو إلى إطفاء الثأر، ومنها قوله المشهور: «إن الدية عند الكرام الاعتذار»، كما ارتبط اسمه بالمثل: «لا ناقة لي فيها ولا جمل».

كان ينظر إلى القضية من موقع السيد الذي يرى ما تفعله حرب الثأر بالقبائل، ويحسب الخسائر التي لا يعيدها انتقام. لكن الروايات تذكر أن ابنه بُجَيْرًا قُتِل، وأن عبارة تحقير شديدة قيلت عند قتله، فانتقل الحارث من الاعتزال إلى قلب المعركة، وأنشد قصيدته المشهورة التي مطلعها: «قرباً مربوط النعامه مني».

احتراز تاريخي

تفاصيل مقتل بُجَيْر والعبارات المصاحبة له وردت بصيغ متعددة، وامتزج فيها الخبر التاريخي بالأدب والسيرة الشعبية. المقصود هنا فهم التحول النفسي في الرواية، لا القطع بكل تفاصيلها.

الشخص نفسه... والميزان الذي تغير

ليس السؤال: أكان الحارث حكيماً أولاً أم شجاعاً ثانياً؟ السؤال الأهم: كيف تغير تقديره عندما انتقلت القضية من دم بعيد إلى ابنه، ومن حساب عام إلى جرح شخصي وإهانة مباشرة؟

كثير منا يحسن الحديث عن الصبر حين تكون المصيبة لغيره، وعن التسامح حين لا تكون كرامته هي المجروحة، وعن المصلحة العامة حين لا تعارض رغبة نفسه. فإذا صار طرفاً في القضية ضاق مجال الرؤية، وتحول ألمه إلى دليل، وغضبه إلى حكم، ورغبته في العقوبة إلى مصلحة عامة.

سؤال المحكمة

لو لم تكن أنت الطرف المجرور، فهل كنت ستقول العبارة نفسها، وبالحدة نفسها، وتطلب النتيجة نفسها؟

لا تلغي هذه المراجعة حق المظلوم ولا تمنع الحزم، لكنها تمنع الجرح من أن ينفرد بكتابة الحكم.
فالألم شاهد مهم، لكنه لا يصلح أن يكون القاضي الوحيد.

الأمر بالقول السديد

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠ و ٧١

القول السديد هو القول المستقيم المصيب للحق، الذي لا يميل به الهوى ولا تفسده المبالغة ولا الخداع. وقد ربط القرآن صلاح الأعمال بصلاح القول؛ لأن اللفظ يوجه الفعل، ويبرره، ويجمع الناس حوله، أو يحذرهم منه.

حصائد الألسنة

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟».

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

الحصاد نتيجة زرع سابق. فاللسان يزرع معاني في النفوس: يزرع ثقة أو شكًا، رحمة أو حقدًا، علمًا أو شبهة، سكينة أو فتنة. ثم تتحول المعاني إلى أعمال، فيأتي الحصاد موافقًا لنوع البذرة.

سلامة الناس من اللسان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

رواه البخاري

قدّم الحديث اللسان على اليد؛ لأن اللسان أسرع وصولاً، وأوسع مدى، وقد يحرك أيدياً كثيرة لا يداً واحدة. ومن هنا كانت سلامة الناس من اللسان علامة ظاهرة على حقيقة الإسلام في التعامل.

الصمت ليس الغاية المطلقة

ميزان الكلام والصمت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

متفق عليه

ليس المطلوب أن يصمت الإنسان عن الحق، بل أن يخرج كلامه من دائرة العبث والشر. فإذا كان في القول خير واضح قليل، وإذا خلا من الخير أو غلب ضرره كان الصمت عبادة وحكمة.

أول ملف تفتحه المحكمة ليس نص العبارة، بل الدافع الذي يدفعها إلى الخروج. فقد تكون الكلمات متشابهة في ظاهرها، بينما تختلف قيمتها باختلاف المقاصد: نقد يقصد الإصلاح، ونقد يقصد التشهير؛ بيان للحق، وبيان يراد به إسقاط منافس؛ تحذير رحيم، وتحذير يتلذذ بفضيحة المخطئ.

أسئلة استجواب النية

- ◆ هل أريد أن يصلح المخطئ، أم أريد أن يراه الناس ساقطاً؟
- ◆ هل سأفرح إن ظهرت براءة خصمي، أم سأبحث عن تهمة أخرى؟
- ◆ هل أريد حماية المصلحة العامة فعلاً، أم أستخدمها غطاءً لتصفية حساب خاص؟
- ◆ هل سأقول الكلام نفسه لو لم يعرف الناس أنني قائله؟
- ◆ هل اخترت الوقت الذي ينفع فيه البيان، أم الوقت الذي يضاعف إحراج الطرف الآخر؟
- ◆ هل أنا مستعد لأن أذكر محاسن من أنتقده، وأعترف بالحق الذي معه؟

علامة خطر

حين يكون سقوط الشخص أهم عندك من زوال الخطأ، فقد انتقل مركز القضية من الحق إلى النفس.

لا يدعي العاقل أنه يملك نية نقية من كل حظ للنفس؛ فالنية تتداخل، والنفس تطلب نصيبها حتى في أعمال الخير. لكن الصدق يقتضي اكتشاف هذا النصيب، وتقليله، ومنعه من قيادة الحكم وصياغة الكلام.

«لا تجعل الحق جندياً في معركة كرامتك الشخصية.»

لا يصدر الكلام من عقل مجرد، بل من إنسان له طبع وحالة وذاكرة وجراح. فمن الناس سريع الغضب، ومنهم شديد الحساسية للإهانة، ومنهم من يكتم حتى ينفجر، ومنهم من يزداد اندفاعه إذا شعر أن الجمهور ينتظر منه موقفًا قويًا.

وصية جامعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني. قال: «لا تغضب». فردد مراراً، قال: «لا تغضب».

رواه البخاري

النهي لا يعني أن الإنسان يمنع أصل الشعور دائماً، وإنما يمنع الغضب من أن يستولي على اللسان واليد والقرار. فقد يكون أصل الغضب مشروعاً، لكن ما يولده من تعميم وإهانة وظلم ليس مشروعاً.

القوة الحقيقية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

متفق عليه

متى تُحجز الكلمة مؤقتاً؟

- ◆ إذا شعرت برغبة في إذلال الطرف الآخر لا في تصحيح فعله.
- ◆ إذا بدأت تفسر كل كلامه بأسوأ احتمال، وترفض أي تفسير آخر.
- ◆ إذا كنت تكتب وتحذف ثم تعود بصياغة أشد قسوة.

- ◆ إذا كان همك أن ترد فوراً حتى لا يظنك الناس ضعيفاً.
- ◆ إذا عممت خطأ شخص على أسرته أو جماعته أو مذهبه أو مهنته.
- ◆ إذا كنت مرهقاً أو خائفاً أو محبطاً إلى درجة تمنعك من الإنصاف.
- ◆ إذا لم تعد قادراً على تلخيص رأي خصمك بطريقة يقبل أنها تمثله.

إجراء وقائي

قل بوضوح: «أنا متأثر الآن، وسأؤجل الموقف حتى أستعيد قدرتي على العدل». تأجيل الكلمة عند اضطراب الميزان ليس ضعفاً؛ بل حماية للحق من أن تختلط به ثورة النفس.

التثبت قبل الإصابة بالجهالة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

سورة الحجرات: 6

لا يكفي أن يكون الخبر موافقاً لما نعرفه عن الشخص أو لما نتوقعه منه. فالميل إلى تصديق ما يخدم موقفنا من أخطر أبواب الظلم؛ لأن الإنسان قد لا يعتمد الكذب، لكنه يفتح له الطريق حين يسقط واجب التثبت.

التمييز بين أربع درجات

- 1 واقعة ثابتة: قام الشخص بفعل محدد، وثبت بدليل معتبر.
 - 2 تفسير: نفهم من الفعل معنى أو دافعاً محتملاً، لكنه ليس الواقعة نفسها.
 - 3 ظن: احتمال ترجحه قرائن، ولا يجوز تقديمه كحقيقة قاطعة.
 - 4 حكم على النية: ادعاء معرفة ما في القلب، وهذا لا يملكه الإنسان إلا بقريضة صريحة وبحدودها.
- كم من خصومة بدأت حين قفز المتكلم من الواقعة إلى تفسيرها، ثم من التفسير إلى اتهام النية، ثم قدم السلسلة كلها للناس على أنها حقيقة واحدة لا تقبل النقاش.

محكمة الاختصاص

الشهرة في مجال لا تمنح صاحبها علماً في كل مجال. قد يكون المرء مبدعاً في التقنية، ثم يتكلم في الطب أو الشريعة أو التاريخ أو السياسة بسلطة لا يملكها. والخطر أن الجمهور ينقل إليه الثقة التي اكتسبها في تخصصه، فيظن كلامه حجة في غيره.

لغة الأمانة العلمية

استخدم عبارات مثل: «بحسب ما أعلم»، «يظهر لي»، «لا أملك معلومات كافية»، «هذه قراءة لا حكم قطعي»، «أحتاج إلى سؤال أهل الاختصاص». التواضع في العبارة لا ينقص الحقيقة؛ بل يحدد حدودها.

العدل مع من نكره

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

سورة المائدة: 8

الشنآن هو شدة البغض. والآية لا تطلب العدل فقط عندما نكون هادئين أو حين نتعامل مع محبوب، بل تضع الامتحان في أصعب حالاته: ألا تسمح للكرهية أن تدفعك إلى ترك العدل.

العدل ولو على النفس

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

سورة النساء: 135

اختبارات الإنصاف

- ◆ هل وصفت قول الخصم كما قاله، أم صنعت نسخة أضعف يسهل مهاجمتها؟
- ◆ هل قبلت منه الاعتذار الذي كنت ستطلب قبوله لنفسك؟
- ◆ هل ذكرت الخطأ بقدره، أم حولته إلى حكم على الشخص كله؟
- ◆ هل استخدمت كلمة «دائمًا» و«أبدًا» و«كلهم» بلا دليل؟
- ◆ هل تفرّق بين نقد الفكرة وإهانة الكرامة الإنسانية؟

◆ هل العقوبة اللفظية متناسبة مع الخطأ، أم أن الجمهور ضاعفها بلا حد؟

موقف أخلاقي رفيع

من أعظم الانتصارات للحق أن تقول: «أنا أختلف معه، لكنه مظلوم في هذه التهمة»، أو تقول: «هو أخطأ، لكننا بالغنا في عقوبته».

اختيار التي هي أحسن

﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾

سورة الإسراء: 53

لم تأمر الآية بمجرد قول كلام حسن، بل بالبحث عن الصياغة التي هي أحسن. فقد يكون المعنى صحيحاً، لكن هناك عبارة أكثر دقة وأقل إثارة للنزاع وأحفظ لكرامة الناس.

دفع السيئة بالأحسن

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾
﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوْ حَظٌّ عَظِيمٌ ﴾

سورة فصلت، الآيتان ٣٤ و ٣٥

ليست كل عبارة قاسية صراحة، ولا كل عبارة هادئة مداينة. الصراحة أن تبين الحقيقة دون تزييف، أما القسوة فهي إضافة أذى لا يحتاج إليه البيان. ويمكن للمتكلم أن يكون واضحاً وحازماً، ومع ذلك يختار ألفاظاً لا تسحق الإنسان.

المآل جزء من الحكم

آية في حساب رد الفعل

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة الأنعام: 108

النهي ليس احتراماً للباطل، وإنما منع لوسيلة تفضي إلى مفسدة أعظم. وهنا تظهر قاعدة عميقة: لا تحاكم الكلمة بمقصدها وحده، بل بما يمكن توقعه من نتائجها أيضاً.

◆ ماذا يحدث إذا اقتطعت العبارة من سياقها؟

◆ كيف سيفهمها المتعصب أو قليل العلم؟

◆ هل تحمل أمراً ضمنياً بالعنف أو الإقصاء ولو لم تصرح به؟

◆ هل ستغلق باب الرجوع والصلح؟

◆ هل تثير مفسدة أكبر من الخطأ الذي تريد إنكاره؟

◆ هل يمكن الوصول إلى المصلحة نفسها بعبارة أعدل وأهدأ؟

حين يتكلم الإنسان في شأن عام لا يجوز أن يجعل المجتمع ساحة لتصفية حسابه الشخصي. فقد يكون له حق خاص، وقد يكون مظلوماً حقاً، لكن معالجة ظلمه يجب ألا تهدم مصلحة أكبر ولا تحمل الأبرياء ثمن غضبه.

أخطر الكلمات العامة تلك التي تبدأ من جرح شخصي ثم تصاغ بلغة المبادئ المطلقة. يمتلك صاحبها قدرة على البيان، ويستدعي التاريخ والنصوص والقيم، فيظن الجمهور أنه أمام رؤية فكرية متكاملة، بينما المحرك الخفي هو خصومة لم تُعالج أو كرامة مجروحة.

الحق أحق أن يُتبع

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾

سورة يونس: 32

تقديم الحق على النفس لا يعني ترك الحقوق، بل يعني ألا نحرف الميزان لنتنصر لأنفسنا. وقد يقتضي الحق أن نطالب، ونحاكم، ونكشف خطأ، لكن ضمن حدود العلم والعدل والمصلحة، لا ضمن اندفاع يريد أن يحرق الساحة كلها ليصيب شخصاً واحداً.

الدعاء بالإصلاح لا التشفي

اشتهرت عن الفضيل بن عياض رحمه الله كلمة معناها أنه لو كانت له دعوة مستجابة لجعلها في السلطان؛ لأن صلاحه يمتد إلى الناس. وروي عن الإمام أحمد معنى قريب. والمقصود ليس تبرير الظلم أو ترك نصح الحاكم، بل تربية النفس على أن مصلحة الجماعة أعلى من لذة التشفي الشخصي.

ميزان المصلحة

قد يكون المسؤول قد ظلمك، لكن انهيار المؤسسة أو اضطراب المجتمع لا يصيب الظالم وحده. اطلب حَقَّك، وأنكر الظلم، ولا تجعل الأبرياء وقوداً لانتقامك.

حزم هارون الرشيد مع نقفور

تذكر كتب التاريخ أن نقفور كتب إلى هارون الرشيد بلهجة تهديد، فأجابه الرشيد جوابًا شديدًا، ثم تحرك بما يثبت أن الرد لم يكن صخبًا مجردًا. ويمكن أن تُقرأ الحادثة نموذجًا للحزم حين تتصل الكلمة بقرار مدروس وقدره ومسؤولية.

دقة العبرة

لا تجعل العبارة التاريخية، بما قد تحمله من لغة عصرها، نموذجًا حرفيًا لكل خطاب معاصر. العبرة في التماسك بين القول والقرار وفي حماية المصلحة، لا في تقليد الإهانة أو استدعاء الحرب في كل نزاع.

كلمة الإنسان المجهول قد تبقى في مجلس محدود، أما كلمة صاحب المنزل فتنتقل ومعها رصيده من الثقة. المتلقي لا يسمع العبارة وحدها؛ بل يسمع معها اسم القائل وتاريخه ومكانته، وقد يحول رأيه الشخصي إلى توجيه أو حكم أو عقيدة.

قاعدة المسؤولية

كلما اتسعت دائرة التأثير ضاق حق الارتجال، وكلما علت المنزلّة وجب أن يطول زمن المراجعة والاستشارة.

قد يبني المفكر مكانته بكلام متزن لسنوات، ثم يستخدم هذه الثقة في لحظة غضب لتمرير خصومة خاصة في صورة مبدأ عام. ويأتي الأتباع فينسجون حول عبارته تفسيرًا ودفاعًا، وربما يرفضون تراجعها عنها لأنهم جعلوها جزءًا من هويتهم.

خطر لي أعناق النصوص

يمتلك العالم أو الكاتب البليغ أدوات استدلال وبيان لا يملكها عامة الناس، ولهذا يكون خطر الهوى عليه مختلفًا: قد لا يتكلم بانفعال ظاهر، بل يصنع خطابًا محكمًا يخدم غضبه، ويقتطع النصوص، ويجمع الاحتمالات الأشد على خصمه، ويعرض اجتهاده كأنه الدين نفسه.

- ◆ اقتطاع النص من سياقه الذي يحدد معناه.
- ◆ اختيار أقسى قول في حق الخصم وأيسر قول في حق النفس.
- ◆ تحويل الخلاف الشخصي إلى معركة بين الإيمان والخيانة.
- ◆ إيهام الجمهور بأن الاجتهاد البشري حكم منزل لا يقبل المراجعة.
- ◆ استخدام التاريخ انتقائيًا لتبرير موقف حاضر.
- ◆ ربط الولاء للحق بالولاء لشخص أو جماعة.

اختبار المؤثر

قبل نشر موقف حاد، اعرضه على شخص علمه معتبر، ولا يخاف غضبك، ولا ينتفع من رضاك، ويستطيع أن يقول لك: «أنت الآن تنتصر لنفسك».

الشورى من صفات المؤمنين

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾

سورة الشورى: 38

اللين والشورى والعزم

﴿فَإِمَّا رَحْمَةً مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَنُفَضِّلَنَّ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

سورة آل عمران: 159

تجمع الآية بين الرحمة واللين والعفو والاستغفار والشورى والعزم. فلا تعني الشورى ضعف القرار، ولا يعني العزم إلغاء المراجعة. وإنما يسبق القرار استماع ونظر، فإذا استبان وجهه مضى صاحبه متوكلاً.

من تستشير؟

- ◆ من يفهم موضوع القضية لا من يوافقك فقط.
- ◆ من يعرف طبيعة الجمهور والنتائج المحتملة.
- ◆ من لا يخشى أن يخسر رضاه إذا خالفك.
- ◆ من يجمع العلم والأمانة والاتزان النفسي.
- ◆ من يسأل عن مصلحة الناس لا عن مكسب الفريق.

خط الرجعة ليس ضعفاً

في المسائل الاجتهادية أو المعلومات الناقصة، ينبغي أن نترك العبارة باباً للتصحيح. ليس من العلم أن تجزم بما لا يحتمل الجزم، ولا من القوة أن تربط كرامتك برأي بشري قابل للخطأ.

لغة تحفظ باب المراجعة

«هذا ما يظهر لي بحسب المعلومات المتاحة». - «لا أجزم بالنية». - «قد تتغير النتيجة إذا ظهرت معلومات جديدة». - «أرجح هذا الرأي ولا أقطع ببطان غيره». - «سأعود عن قلبي إذا تبين لي خطؤه».

أما القطع المستمر والجزم في كل قضية، فيحول التراجع إلى فضيحة نفسية، فيدافع الإنسان عن قوله بعد سقوط دليله حتى لا يقال إنه أخطأ. وهكذا تصبح الصورة الشخصية أثنى عنده من الحقيقة.

كلنا يخطئ. وقد يتعجل الحكيم، ويغضب الحليم، ويقصر العالم، ويظلم من اعتاد العدل. ليست العصمة شرطاً للخير، لكن سرعة الرجوع إلى الحق من أعظم علاماته.

المشكلة الكبرى ليست في زلة عابرة فحسب، بل في أن يعرف الإنسان خطأه ثم يتركه يعمل بين الناس خوفاً على مكانته. ربما يقول: كيف أراجع بعد أن انتشرت كلمتي؟ والجواب: كما كان انتشارها سبباً في وجوب المراجعة، فهو سبب في وجوب التصحيح العلني.

بروتوكول التصحيح

- 1 أوقف إعادة نشر العبارة أو المحتوى فوراً.
- 2 حدد الخطأ بوضوح، ولا تستخدم اعتذاراً مبهماً يوحي بأن المشكلة في فهم الناس فقط.
- 3 انشر التصحيح في المكان نفسه وبالوضوح نفسه الذي نُشر به الخطأ.
- 4 اعتذر لمن أصابه ضرر مباشر، ورد إليه حقه المعنوي قدر الاستطاعة.
- 5 اطلب ممن نقلوا الخطأ أن ينقلوا التصحيح، ووَقِّرْ لهم صياغة واضحة.
- 6 احذف المحتوى إذا كان بقاءه يزيد الضرر، أو أبقه مع تنبيه بارز إذا كانت الشفافية تقتضي ذلك.
- 7 بيِّن الرأي الصحيح أو المعلومة الصحيحة، لا تكتفِ بقول: «أسحب كلامي».
- 8 راجع السبب الذي أوقعك: غضب، نقص علم، ثقة زائدة، ضغط جمهور، أو رغبة في التشفّي.
- 9 لا تجعل شماتة الخصوم تمنعك من فضيلة الرجوع.

1 تابع الأثر بعد الاعتذار، فبعض الأخطاء تحتاج إلى إصلاح طويل لا إلى بيان واحد.

0

صيغة اعتذار صادقة

«أخطأت في العبارة التي نشرتها، وكانت متعجلة وغير عادلة. أسحبها بوضوح، وأعتذر لمن أصابه منها ضرر. والصحيح الذي تبين لي هو... وقد طلبت ممن نقلها أن ينقل هذا التصحيح».

اعتذار لا يكفي

«أعتذر ممن أساء فهم كلامي» ليست اعتذاراً إذا كان كلامك نفسه غامضاً أو ظالماً. قد يكون سوء الفهم من المتلقي، وقد يكون من سوء البيان، والعدل أن تتحمل نصيبك.

«الاعتذار لا يمحو كل أثر، لكنه يمنعك من ترك الخطأ يتكلم باسمك بعد أن عرفت خطأه».

في الأسرة والتربية

قد يقول الأب لابنه في غضب: «لن تنجح أبداً»، أو تقول الأم لابنتها: «أنت سبب تعاستي». تمر لحظة الغضب، لكن الطفل قد يحمل الحكم سنوات؛ لأن كلمة الوالد ليست عنده رأياً عابراً، بل تعريفاً لنفسه صادراً عن أقرب الناس.

صياغة تربوية

قل: «هذا التصرف خاطئ وأزعجني، لكنك قادر على إصلاحه». حاكم الفعل، ولا تحوّل الخطأ المؤقت إلى هوية دائمة للإنسان.

في الزواج

العبارات المطلقة مثل «أنت دائماً»، و«لا خير فيك»، و«ندمت على الزواج منك»، لا تناقش المشكلة بل تهدم الأمان. الكلمة الحكيمة تحدد الفعل وأثره والمطلوب لإصلاحه، وتحفظ خطأ لا تتجاوزه الخصومة.

في الإدارة

تقييم الأداء حق وواجب، أما إذلال الموظف أمام زملائه فليس إدارة. يستطيع المسؤول أن يقول: «هذا العمل لم يحقق المعيار المطلوب، وهذه خطوات لإصلاحه»، بدل أن يقول: «أنت لا تصلح لشئ». الأول يعالج، والثاني يهدم.

في الخطاب الديني والفكري

كلما اتصل الكلام بدين الناس وعقائدهم ازدادت حرمة التسرع. ليس كل مخالف عدوًّا، ولا كل خطأ يخرج صاحبه من دائرة الخير، ولا كل مسألة اجتهدية تستحق أن تقسم المجتمع إلى معسكرات. إنكار الخطأ قد يكون واجباً، لكن الواجب يؤدي بعلم وعدل ورحمة.

آية الدعوة

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

سورة النحل: 125

في وسائل التواصل

ما كان زلة في مجلس محدود أصبح اليوم مادة قابلة للتسجيل والنسخ والترجمة والاقتطاع. زر النشر لا يرسل جملة فقط، بل يصنع نسخة باقية يمكن أن تعود بعد سنوات في سياق جديد.

- ◆ لا تنتشر وأنت في ذروة الغضب.
- ◆ اقرأ النص بصوت هادئ قبل إرساله.
- ◆ احذف الكلمات التي لا تؤدي معنى سوى الإهانة.
- ◆ فرق بين الخبر والرأي والتخمين.
- ◆ تخيل أن الطرف الآخر أو ابنك أو تلميذك سيقراه.
- ◆ اسأل: هل أَرْضَى أن يكون هذا آخر نص يبقى منسوبًا إلي؟

ضع العبارة المهمة في «ملف قضية» قبل إخراجها، ثم مررها على الدوائر الآتية. لا يلزم أن تستغرق المراجعة ساعات في كل كلام، لكن كلما عظم الأثر وجب أن تكون المحاكمة أعمق.

رقم	الدائرة	سؤال المحكمة
1	النية	لماذا أقولها؟
2	الحقيقة	ما الذي ثبت فعلاً؟
3	الاختصاص	هل أملك علمًا كافيًا؟
4	الحالة النفسية	هل أنا قادر على العدل الآن؟
5	الإنصاف	هل أَرْضَى بهذا الميزان لنفسي؟
6	الألفاظ	هل يمكن صياغتها بأحسن؟
7	التوقيت	هل هذا أنسب وقت؟
8	المصلحة	من سينتفع ومن سيتضرر؟
9	المال	ماذا قد تنتج إذا انتشرت؟
10	الشورى	من راجعها معي؟

بعد المرور على الدوائر، لا تملك المحكمة حكمًا واحدًا فقط. فقد تكون العبارة صادقة لكنها تحتاج إلى تعديل، أو صحيحة لكن وقتها غير مناسب، أو نافعة لكنك تحتاج إلى مراجعة خبير، أو لا خير فيها أصلًا.

عَدَل	فُل
إذا كان المعنى حقًا لكن العبارة جارحة أو غامضة.	إذا صح المقصد والمعلومة والعدل والمصلحة.
اسْتَشِير	أَجَل
إذا عظمت النتائج أو خرج الأمر عن اختصاصك.	إذا كانت حالتك النفسية تمنع الإنصاف.
اعْتَذِر	اصْنُمْتُ
إذا خرجت الكلمة ثم ظهر خطؤها أو ظلمها.	إذا غاب الخير أو غلب الضرر.

قد تخرج الكلمة منك صغيرة، ثم يحملها غاضب فيكبرها، ويأخذها متعصب فيجعلها شعاراً، ويستند إليها جاهل فيبني حكماً، ويأتي جيل بعدك فيظن أنها عقيدة لا تقبل المراجعة. وقد تخرج منك كلمة خير فتهدى حائراً، وترد مظلمة، وتصلح بيتاً، وتطفئ فتنة، وتحفظ كرامة أو دماً.

لا ترهد في الكلمة الطيبة، ولا تستهن بالكلمة المؤذية. ولا تجعل الحرص على الصراحة نريعة لنترك الحكمة، ولا تجعل الحكمة نريعة للسكوت عن الحق. المطلوب كلمة تجمع صدق المعنى وعدل الميزان وحسن الطريق.

من أخلاق عباد الرحمن

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

سورة الفرقان: 63

العفو والأمر بالعرف

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

سورة الأعراف: 199

الكاظمون الغيظ

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

سورة آل عمران: 134

فإن أصبنا فمن فضل الله، وإن أخطأنا فواجبنا أن نعود سريعاً، وأن نبين ونعتذر ونصلح بقدر الاستطاعة، وألا نترك خطأنا يجري بين الناس بعدما عرفنا وجه الصواب.

«الحق لا يخسر حين تعتذر عن خطئك؛ الذي يخسر هو غرورك، وتلك خسارة مباركة.»

دعاء

اللهم احفظ ألسنتنا من الظلم، وقلوبنا من الهوى، وعقولنا من الطيش، وارزقنا قولاً سديداً، وحكماً رشيداً، وعدلاً مع الموافق والمخالف، وشجاعة في الاعتذار، وإخلاصاً يقدم الحق على حظوظ النفس. اللهم اجعل كلماتنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، ولا تجعلها سبباً في ظلم عبد، أو تفريق جماعة، أو إضلال إنسان. واهدنا للقول الحق، والفعل الحق، والرجوع إلى الحق.

أتعهد أمام الله ثم أمام ضميري أن أجاهد نفسي على المبادئ الآتية:

- ◆ ألا أجعل ثقة الناس بي سلاحاً في خصوماتي الشخصية.
- ◆ ألا ألبس غضبي لباس الدين أو الفكر أو المصلحة العامة.
- ◆ ألا أنقل خبراً خطيراً قبل التثبت.
- ◆ ألا أحكم على النيات بغير بينة.
- ◆ ألا أظلم خصمي ولو ظلمني.
- ◆ ألا أعمم خطأ الفرد على جماعته أو أسرته.
- ◆ ألا أتكلم في غير علمي بصيغة العالم.
- ◆ ألا أجعل التراجع عن الخطأ نقصاً في كرامتي.
- ◆ أن أصحح الخطأ بوضوح يقارب وضوح نشره.
- ◆ أن أقدم وحدة المجتمع ومصلحته على لذة الانتصار للنفس.
- ◆ أن أترك في المسائل الاجتهادية باباً للمراجعة.
- ◆ أن أتذكر أن كلامي قد يبقى بعد موتي.

توقيع شخصي

الاسم:

.....

التاريخ:

.....

الكلمة التي أحتاج إلى مراجعتها اليوم:

.....

عندما تكون على وشك إرسال رسالة غاضبة أو نشر موقف حاد، امنح الكلمة ستين ثانية قبل الحكم:

الثواني 10-1: توقّف

لا ترسل، ولا تعد، ولا تهدد.

الثواني 11-20: تنفّس

اخفض سرعة الجسد قبل أن تطلب هدوء العقل.

الثواني 21-30: سمّ الشعور

أنا غاضب، مجروح، خائف، محرج، أراغب في الانتقام.

الثواني 31-40: افصل نفسك

ماذا كنت سأقول لو كانت القضية لشخص آخر؟

الثواني 41-50: تخيل الأثر

من سيتضرر؟ وكيف ستفهم العبارة إذا اقتطعت؟

الثواني 51-60: أصدر الحكم

قل، عدل، أجل، استشر، اصمت، أو اعتذر.

«في ذروة الانفعال، يكون التأجيل غالبًا أول حكم عادل.»

أولاً: المصادر الشرعية

- ◆ القرآن الكريم، والآيات مثبتة كاملة مع أسماء السور وأرقامها.
- ◆ صحيح البخاري: أحاديث حفظ اللسان، وعدم الغضب، والقوة عند الغضب، والكلمة من رضوان الله أو سخطه.
- ◆ صحيح مسلم: حديث من سن سنة حسنة أو سيئة، وحديث قول الخير أو الصمت في رواياته الصحيحة.
- ◆ سنن الترمذي: حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في حصائد الألسنة.

ثانياً: المصادر التاريخية والأدبية

- ◆ كتب الأدب والأخبار التي نقلت حرب البسوس وأشعار الحارث بن عباد والمهلهل، مع التنبيه إلى اختلاف الروايات وتداخل السيرة الشعبية.
- ◆ تاريخ الطبري والكامل في التاريخ لابن الأثير في أخبار هارون الرشيد ونقفور، مع التعامل النقدي مع ألفاظ الرواية وسياق عصرها.
- ◆ كتب الزهد والسير في المقولة المشهورة عن الفضيل بن عياض في الدعاء للسلطان، وما روي من معنى قريب عن الإمام أحمد.

ملاحظة تحريرية

تُراجع نصوص القرآن الكريم حرفياً على مصحف موثوق قبل أي طبعة ورقية تجارية، كما تُراجع تحريجات الأحاديث والروايات التاريخية في الطبقات العلمية المعتمدة.

الكلمة لا تنتهي عند شفتي قائلها

قد تدخل قلباً فتطمئنه أو تجرحه، وقد تتحول إلى قرار، أو خصومة، أو شعار، أو ميراث فكري تعيش آثاره بعد صاحبها.

يقدم هذا الكتيب نموذجاً عملياً لـ «محكمة الكلمة»: محكمة تفحص النية، والحقيقة، والحالة النفسية، والعدل، والأسلوب، والمصلحة العامة، والمآلات، قبل إصدار الحكم:

قُلْ، عدِّلْ، أَجَلْ، استشر، اصمت، أو اعتذر.

إنها دعوة إلى أن يكون الحق أسبق من حظ النفس، وأن تكون الحكمة أقوى من الانفعال، وأن يكون الرجوع عن الخطأ شجاعة لا هزيمة.

«نملك الكلمة قبل أن نقولها،

فإذا خرجت ملكت جزءاً من أثرنا.»

أيمن الحراكي